

# النَّعْرِيبُ فِي الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ

للدكتور حمبي الخطاب  
مدير الإدراة الثقافية لجامعة العربية

تطلع الأعشمانيون والصفويون إلى الثقافة العربية كما تطلع أروبا إليها قبلهم ، فجعلت من نقل علوم العرب إلى الآتينية بداية الانطلاق نحو الانبعاث الغربي .  
منذ أكثر من مائة سنة بدأ العرب يتبعون إلى ضرورة اللحاق بركب الحضارة الأوروبية التي كانت في ظلام حين كنا أيماء الثقافة .

العربية ومنها كليلة ودمنة ومنها كتب تشر . وكلنا يذكر عصر المامون وما كان عليه أمر التعريب ، التعريب عن اليونانية وعن الفارسية . ظهرت على آثر ذلك كتب في الطب وظهر أعلام من العرب ، المسلمين والنصارى على السواء ، في هذا الميدان . ظهرت أسرة بختيشوو التي كانت من أول الذين عربوا الطب ، ثم ظهر ابن سينا يقانونه كما ظهر الرازى وغيره في العالم العربي وظهر في الرياضيات جابر بن حيان وآخواته . وظهرت في العلوم الإنسانية كتب كثيرة بالعربية وكلها معرفة عن الفارسية وكلنا يذكر حين يقرأ الأدب والتاريخ العربين أن كتابا من مثل ابن المفع والجاحظ والمسعودى والبىرونى وابن سينا وغيرهم قد نقلوا الكثير عن كتب فارسية ويونانية وسسكريتية ، وعلى هذا النحو عربوا كتب الآيين والاتاج وغيرها من كتب سير الملوك ، وكان المسعودى ينقل عن الفهلوية وكان البىرونى ينقل عنها وعن السنسكريتية ، وكان ابن سينا ينقل عن اليونانية والسريانية وكان الحكماء المسلمون في ذلك الوقت يشجعون حركة التعريب . ويعلمون على إنشاء « خرائن » الكتب التي تحرى علوم الفرس واليونان معربة حتى ينزل منها علماء العرب ويصنفوا على غرارها كتب لا تزال خيرا ما في المكتبة العربية ولما احتاج المغول العالم الإسلامي كانت الثقافة العربية قد أصبحت ثقافة أصيلة فكانت حركة النقل من العربية إلى الفارسية وبدأت الثقافة العربية بدورها تتبع نباسا فارسيا فقد نقل علماء المغول الكثير من هذه

روى الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب أنه لما قلد الحاج العراق كان يكتب له صالح بن عبد الرحمن ، وكان يتقد ديوان الفارسية إذ ذاك زادان فروخ ، فخلفه عليه صالح ، فخف على قلب الحاج وخص به ! فقال لزادان أني قد خفت على قلب الحاج ولست آمن أن أزيلك عن محلك لتقديمه أيامي وأنت رئيسى .

قال زادان : لا تفعل فإنه أحوج إلى مني إليه .  
قال : فكيف ذلك ؟ .

قال : لا يجد من يكفيه الحساب .  
قال صالح : أني لو شئت حولته بالعربية .

قال زادان ! فتحول منه سطرا .  
فحول صالح منه شيئاً كثيرا .

قال زادان لاصحابه : التمسوا مسكننا غير هذا .

وأمر الحاج صالح بنقل الدواوين إلى العربية .  
ومكذا بدأت حركة تعريب « الإدارة » لكي يتحرر العرب من السيطرة الفارسية في هذا الميدان . ومن قبل كانت حركة التعريب « العلمية » ، فإن الدولة العربية الاموية لم تقدر تسلم زمام العرب حتى قام الأمير خالد ابن يزيد بن معاوية بتأليف لجنة من العلماء لكي ينقلوا علوم اليونان إلى العربية فكانت ترجمة إلى العربية في علوم الفلك والجغرافية .

واعقب ذلك حركة تعريب كبيرة في علوم الأدب والتاريخ ، وكلنا يذكر ابن المفع والكتب التي نقلها إلى

عادوا إلى القاهرة انكبوا على الكتب التي درسوها في الغرب فغربوها لكي يفید منها الطالب العرب . وقد كان المبعوث يجسـى إلى القاهرة فيقيـم في القلمـة معـزاً ، حتى يفرـغ من تعرـيب كتاب يختاره من أمـهات الكـتب التي درـسـها في أورـيا .

وافتـحت مدرـسة للطب في القـاهرة ، وـكان التعليم فيها بالـفرـنـسيـة ثـم بالـانـجـليـزـية ولكن عـدـ الشـيـانـ العـربـيـةـ الذين تـنـقـوا الطـبـ في أورـياـ يـعـودـونـ إـلـى مـدـرـسـتـهـمـ وـيـبـداـ التـفـكـيرـ فيـ التـعـرـيبـ وـتـظـهـرـ كـتـبـ فيـ فـرـوعـ الطـبـ بالـعـرـبـيـةـ ، منـ جـراـحةـ إـلـى تـشـرـيـحـ إـلـى طـبـ باـطـنـيـةـ غيرـ ذـلـكـ . وـتـظـهـرـ لـطـبـ مـجـلـةـ عـرـبـيـةـ وـيـشـتـهـرـ الطـبـيـبـ حـسـنـ مـحـمـودـ وـيـتـخـرـجـ مـنـ مـدـرـسـةـ الطـبـ الـعـرـبـيـةـ جـمـاعـةـ منـ الـأـطـبـاءـ رـأـيـتـ مـنـهـمـ الـدـكـتـورـ مـحـمـدـ الـقـلـماـويـ الـذـيـ لاـ تـزالـ اـسـرـتـهـ تـحـفـظـ بـمـكـتـبـتـهـ الطـبـيـةـ الـعـرـبـيـةـ .

وابـيـنـ الـاستـعـمـارـ أـنـ تـسـيرـ حـرـكـةـ التـعـرـيبـ فيـ طـرـيقـهـ الـطـبـيـعـيـ ، وـلـقـدـ كـانـ مـنـ خـطـقـتـهـ أـنـ يـخـلـفـ بـيـنـ الـمـقـفـينـ جـمـاعـةـ يـدـيـنـوـنـ بـالـلـوـلـاـ الثـقـافـيـ وـالـاجـتمـاعـيـ لـانـجـلتـرـاـ ، أـنـ كـانـواـ كـنـاـ نـسـيـمـهـ Engـlandـ menـ أـيـ رـجـالـ اـنـجـلتـرـاـ ، أـنـ كـانـواـ هـمـ يـسـمـونـ اـنـفـسـهـمـ كـنـدـلـكـ ، وـيـعـودـ تـدـرـيسـ الطـبـ بـالـانـجـليـزـيةـ ، وـلـكـنـ إـلـىـ حـينـ ، فـانـ حـرـكـةـ طـبـيـةـ لـتـعـرـيبـ يـقـومـ بـهـاـ جـهـازـ مـتـخـصـ تـعـلـمـ عـلـىـ تـعـرـيبـ أـمـهـاتـ الـكـتبـ الـطـبـيـةـ وـالـعـلـمـيـةـ يـعـملـ إـلـآنـ فـيـ القـاهـرـةـ .

وارـيدـ أـنـ أـضـرـبـ مـثـلاـ بـمـعـالـهـ التـعـرـيبـ فـيـ القـانـونـ ، بـكـلـ فـرـوعـ ، مـنـ مـدـنـيـ وـجـنـائـيـ وـادـارـيـ وـمـالـيـ وـدـسـتـورـيـ وـاقـتصـاديـ ، فـقـدـ كـانـ القـانـونـ وـالـقـصـاصـ يـدـرـسـانـ فـيـ القـاهـرـةـ بـالـفـرـنـسـيـةـ ثـمـ بـالـانـجـليـزـيـةـ . وـفـكـرـ لـفـيفـ مـنـ الشـيـانـ الـمـقـفـينـ ، فـيـ القـاهـرـةـ ثـمـ فـيـ فـرـنسـاـ أـوـ اـنـجـلتـرـاـ ، فـيـ أـنـ يـعـرـيـسـ الـقـانـونـ وـالـاقـتصـادـ ، فـغـرـبـوهـ وـجـلـعـوـ دـرـاسـتـهـمـ فـيـ مـدـرـسـةـ الـحـقـوقـ ثـمـ فـيـ كـلـيـةـ الـحـقـوقـ حـينـ انـضـمـتـ إـلـىـ الجـامـعـةـ ، بـالـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ الـخـالـصـةـ . وـإـنـ لـاـ نـكـرـ أـنـ الرـجـالـ الـذـيـنـ قـامـواـ بـهـذـاـ الـعـمـلـ الـجـلـيلـ بـنـجـاحـ تـامـ الـاسـانـةـ : أـبـوـ مـيـفـ وـمـحـمـدـ صـالـحـ وـكـامـلـ مـرسـيـ وـأـحـمـدـ أـمـيـنـ رـحـمـمـ اللـهـ ثـمـ السـنـهـورـيـ وـالـعـشـماـويـ ، فـقـدـ حـمـلـ مـؤـلـأـهـ الـاعـلـامـ رسـالـةـ تـعـرـيبـ القـانـونـ وـالـاقـتصـادـ ، وـكـانـواـ العـمـادـ الـذـيـ عـرـيـتـ عـلـىـ أـسـسـهـ النـظـمـ الـقضـائـيـةـ وـالـادـارـيـةـ وـالـاقـتصـاديـةـ فـيـ الـجـمـهـورـيـةـ الـعـرـبـيـةـ الـمـتـحـدةـ .

أـحـبـ أـنـ أـفـتـ النـظـرـ بـعـدـ هـذـاـ إـلـىـ ثـلـاثـ نقطـ :  
الـأـولـىـ : أـنـاـ حـينـ نـدـعـوـ إـلـىـ التـعـرـيبـ نـدـعـوـ فـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ إـلـىـ درـاسـةـ الـلـغـاتـ الـأـرـوـيـةـ فـيـ مـدـارـسـناـ حتـىـ يـكـونـ فـيـ اـسـطـاعـةـ الطـالـبـ أـنـ يـرـجـعـ إـلـىـ الـمـرـاجـعـ .

الـكـتبـ ، وـفـرـىـ ذـلـكـ وـاضـحاـ فـيـ جـامـعـ التـوـارـيخـ ، الـذـيـ كـتبـ رـشـيدـ الدـيـنـ وـزـيـرـ مـوـلـاكـوـ وـالـذـيـ جـعـلـ قـسـمـهـ الـعـامـ تـرـجمـةـ فـارـسـيـةـ خـالـصـةـ لـكـتبـ عـرـبـيـةـ فـيـ التـارـيخـ الـأـسـلـامـيـ . وـبـالـرـغـمـ مـنـ وـطـأـهـ الـمـغـولـ الـقـاسـيـ ، قـبـلـ اـسـلـامـهـ ، فـانـ أـكـثـرـ مـاـ كـتـبـ - أـصـالـةـ - فـيـ زـمـنـهـ بـالـلـغـةـ الـفـارـسـيـةـ كـانـ يـكـتبـ فـيـ الـوقـتـ عـنـيـهـ بـالـعـرـبـيـةـ لـأـنـهـ رـغـمـ الـفـزوـ الـمـغـوليـ - لـغـةـ الـثـقـافـةـ فـيـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ الـأـسـلـامـيـ . وـمـثـالـ ذـلـكـ تـارـيخـ جـنـكـيـزـ الـذـيـ نـجـدـهـ بـالـفـارـسـيـةـ وـتـجـدـهـ بـالـعـرـبـيـةـ أـيـضاـ . وـكـانـ رـشـيدـ الدـيـنـ وـغـيـرـهـ يـكـتبـ بـالـلـغـتـيـنـ مـاـ .

وـلـمـ تـقـفـ حـرـكـةـ التـعـرـيبـ حـتـىـ فـيـ أـشـدـ الـعـصـورـ حـلـكـةـ ، فـفـيـ عـصـرـيـ الـمـمـالـكـ وـالـمـمـانـيـنـ عـرـبـيـتـ كـتـبـ كـثـيـرـةـ وـانـكـرـ إـلـآنـ عـلـىـ سـبـيلـ الـمـثالـ ، الشـامـانـامـةـ الـفـارـسـيـةـ الـتـيـ نـقـلـهـ إـلـىـ الـعـرـبـيـةـ الـبـنـدـارـيـ كـمـاـ أـنـذـكـ إـلـآنـ تـرـاجـمـ عـرـبـيـةـ لـمـثـنـيـ جـلـالـ الـدـيـنـ الـرـومـيـ وـلـكـسـلـتـانـ سـعـلـيـ .

وـلـاحـظـ الـمـؤـرـخـ الـمـنـصـفـ أـنـ هـذـهـ الـفـتـرـةـ مـنـ تـارـيخـ الـأـلـمـةـ الـعـرـبـيـةـ كـانـتـ تـمـثـلـ ، رـغـمـ السـيـطـرـةـ الـسـيـاسـيـةـ الـأـجـنبـيـةـ ، سـيـادـةـ الـثـقـافـةـ الـعـرـبـيـةـ فـقـدـ نـقـلـتـ كـتـبـ كـثـيـرـةـ مـنـ الـعـرـبـيـةـ إـلـىـ إـلـترـكـيـةـ وـالـفـارـسـيـةـ أـيـامـ الـعـمـانـيـنـ وـالـصـفـوـيـنـ لـأـنـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ كـانـتـ لـغـةـ الـثـقـافـةـ .

وـلـمـ يـكـمـ الـمـمـانـيـنـ وـالـصـفـوـيـنـ وـحـدـمـ يـتـطـلـعـونـ إـلـىـ الـثـقـافـةـ الـعـرـبـيـةـ فـمـنـ قـبـلـهـمـ تـلـعـتـ أـورـياـ إـلـىـ تـقـافـتـنـاـ ، وـنـقـلـتـ إـلـىـ الـأـنـيـنـيـةـ كـتـبـاـ كـثـيـرـةـ فـيـ الـطـبـ وـالـعـلـمـ وـالـفـلـسـفـةـ . وـلـعـلـنـاـ نـذـكـرـ فـيـ هـذـاـ الـمـجـالـ كـتـبـ اـبـنـ سـيـنـاـ ، وـالـرـازـيـ ، وـجـابـرـ بـنـ حـيـانـ وـالـبـيـروـنـيـ ، وـالـزـهـرـاوـيـ . وـالـذـيـ يـقـرـأـ كـتـابـاـ غـرـيـباـ فـيـ تـارـيخـ الـطـبـ وـالـفـلـسـفـةـ وـالـعـلـمـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ الـحـضـارـةـ الـفـرـقـيـةـ ، يـسـرىـ كـيفـ كـانـ نـقـلـ عـلـومـ الـعـرـبـ إـلـىـ الـلـغـةـ الـلـاتـيـنـيـةـ بـدـايـةـ الـانـطـلـاقـ الـذـيـ أـعـقـبـ عـصـرـ النـهـضةـ فـيـ أـورـياـ .

وـمـالـيـ أـنـذـكـ الـمـاضـيـ وـأـخـشـ أـنـ أـطـيلـ . فـلـاـ تـنـقـلـ إـلـىـ تـجـرـيـةـ حـدـيـثـةـ فـيـ التـعـرـيبـ ، قـامـتـ بـهـاـ دـوـلـةـ مـنـ اـمـتـنـاـ الـعـرـبـيـةـ ، وـلـاشـكـ أـنـ اـكـثـرـ مـنـ دـوـلـةـ عـرـبـيـةـ تـقـومـ بـالـتـعـرـيبـ وـلـكـنـيـ أـقـصـرـ الـحـدـيـثـ عـلـىـ الـجـمـهـورـيـةـ الـعـرـبـيـةـ الـمـتـحـدةـ وـاتـخـذـ مـاـ حـدـثـ فـيـهـ مـذـلاـ .

مـنـ اـكـثـرـ مـنـ مـائـةـ سـنـةـ بـدـاـ الـعـرـبـ يـنـتـبـهـونـ إـلـىـ ضـرـورـةـ الـلـحـاقـ بـالـتـقـدمـ الـعـلـمـيـ الـذـيـ سـبـقـتـ إـلـيـهـ أـورـياـ ، الـتـيـ كـانـتـ فـيـ ظـلـامـ حـينـ كـانـتـ اـمـتـنـاـ الـثـقـافـةـ ، ثـمـ أـخـذـتـ عـنـاـ وـكـانـ مـغـلـوـبـيـنـ سـيـاسـيـاـ عـلـىـ اـمـرـنـاـ ، فـتـقـدـمـواـ وـجـمـدـنـاـ وـقـطـعـواـ شـوـطاـ بـعـيـداـ فـيـ الـعـلـمـ بـيـنـماـ كـانـتـ اـنـتـقـلـتـ اـسـتـعـمـارـ نـفـطـ فـيـ نـوـمـ عـمـيقـ . بـدـاـ الـعـرـبـ يـنـتـبـهـونـ إـلـىـ ضـرـورـةـ الـلـحـاقـ بـرـكـبـ الـحـضـارـةـ فـوـقـدـ عـلـىـ أـورـياـ عـدـ كـبـيـرـ مـنـ الشـيـانـ الـعـرـبـيـةـ بـتـلـقـوـنـ الـعـلـمـ وـالـآـنـابـ ، فـلـمـ

ولنعلم أن العلم ليس قاصرا على الغربيين وحدهم ،  
ولنعمل لامتنا بلغتنا وعلى طريقتنا .

**النقطة الثالثة :** قضية اللهجات أن صح أن لها قضية .  
فقد سمعت أن بين بلاد الأمة العربية اختلافا في اللهجات ،  
الامر الذي يجعل تعریب المصطلحات العلمية عسيرا .  
ليست اللهجات المتعددة مما يثير الخوف أبدا . فأهل  
القاهرة حين ينتقلون إلى صعيد مصر من الجمهورية  
العربية المتحدة يسمون لهجة خاصة وكذلك إذا انتقلوا  
إلى الإسكندرية ، ولا يفيده هذا اختلافا في اللغة ،  
فاللهجات موجودة في كل أمة ولا ضير على اللغة ،  
والمصطلحات تشتق من العربية الفصحى ، من لغة  
القرآن ، اللغة التي تجمع الأمة العربية كلها . ولذلك لا  
يغيبنا أن تتعدد لهجاتنا لأن الجامع بيننا لغة القرآن  
التي تعد هذه اللهجات منطوية خالصة بالنسبة لها .

إنما الذي يجب أن نعمله هو أن نخلص هذه اللهجات  
من الهجين الدخيل الذي أدخله الاستعمار معه . فلننبذ  
الكلمات الانجليزية والفرنسية ولننسك بلغتنا العربية  
الفصحى ولا ضير علينا من تعدد اللهجات المنطوية .  
فلنسر إذا قدما في « التعریب » ولتكن شعارنا أن  
الاستقلال السياسي لا يتم بغير الاستقلال الثقافي : وإن  
العزّة كل العزة والكرامة كل الكرامة ان تكون لغتنا هي  
لغة ثقافتنا .

الأروبية اذا كان من سيواصلون التعليم فوق الليسانس ،  
فنحن نعني بتدريس لغة أروبية في التعليم الثانوى ويتبع  
الطالب دراسة هذه اللغة في الجامعة ليقرأ بها المراجع  
التي يتطلب الرجوع إليها ، وإذا فتحنا لا نقطع  
صلتنا الثقافية بالغرب ولكننا نتعزز بلغتنا ونريد أن  
نتعلم بها وفي الوقت نفسه نعني عنابة فائقة باللقاء  
التي تعد اللغة الأجنبية وسيلة إليها ، لتكون على صلة  
دائمة بالتقدم العلمي العالمي .

فلا يقول أحد إننا « بالتعریب » ننقطع عن الثقافة  
العالمية ،

**النقطة الثانية :** إننا يجب أن نثق بأنفسنا حين تدعونا  
إلى « التعریب » فنحن أمّة مشهود لها بالذكاء وبالإصرارة ،  
من قبل كنا حملة مشعل الثقافة وأن الاوان اليمى لأن  
نحمل هذا المشعل .

أضرب اليكم مثلا بالشبان الذين يتخرجون في  
جامعاتنا العربية ثم يوفون إلى أوروبا أو أمريكا ليتابعوا  
دراساتهم للدكتوراه . كثير من مؤلّاه تغريم الجامعات  
في الخارج باليقان فيها كأساتذة ، ولما يمض على  
تلقيهم العلم فيها أكثر من سنتين ، لو كان أمة متقدمة  
لما استباقت أمريكا مثلا في جامعاتها عدّها من مهندسينا  
وأطبائنا لكي يعلموا في جامعاتها . فلنثق إذا في أنفسنا

